



جونيه... أسطورة وحكاية

تختال أشعة الشمس متباهية وتتمايل بأهدابها ما بين جبلها وساحلها وأسواقها القديمة حاملة في أنسجتها روائح طيبة من ذلك الزمان القديم... وتتراقص وهي تلمح رمالها الذهبية لتنسج مع كل موجة في مدها وجزرها أنغاماً تعود بك الى تاريخ تختزن منه الذاكرة ليال حاملة... والقمر وإن حكى لقال: " هي المدي حيث يؤنس لي فيه أجمل اللوحات الأرجوانية... هي المدينة التي تحاكيني في عز الليل وتسامرني مع المحانها الشرقية... هي مني وأنا إليها أشتاق ومع طلوع ساعات الفجر أتلهف لأكمل دورتي في المدي الفسيح لكي أعود للقائها من جديد ...

" ساحلية المهوى " هي □ و"جارة الأمواج " هي... إنها جونيه... هذه المدينة التي تخطف القلوب... هذه العروس المحالمة المتربعة على أجمل شواطئ المتوسط، هذه الفاتنة التي تتكى بأطرافها ما بين جبل شاهق وبين بحر مرصع.

إنها جونيه محروسة بقدرته سيّد ذلك الجبل، من فوق، جبل حريصا، فتتنظر ملكة السماء من حين إلى آخر لتطمئن على هذه المفاتنة وترد عنها نوايا المشرّ. هذه المدينة التي أنعم الله عليها بكثير من خيراته ولم يبخل عليها بإغداقها أجمل صورته فأحاطها بالماء وبالبرّ، وعلى أطرافها حيث تقع صخرة الشير العظيمة الشبيهة بصخرة "موناكو" مزار المباطية المينيقي السامي حيث أسطورة الحب الأولى بين إله العشق أدونيس وآلهة الخصوبة عشتروت وعلى بضع أمتار منها مرفأ جونيه الذي شهد أيام عزّ التجارة اللبنانية. وفي أعلى هذا الشير قلعة أثرية تقوم على بيت عائلة آل خضرا الذين كانوا من تراجمة قناصل فرنسا في العهد العثماني، ومن أبرز تجار الحرير في المنطقة ومن رواد النهضة العربية.

جونيه "عروس الشاطئ اللبناني" كما وُصفت في وثائق القرن التاسع عشر، إسمها مشتق من الآرامية واليونانية *guinea* ما يعني ما الزاوية لوقوعها على الطرف الجنوبي لخليج هو بمثابة ميناء طبيعي إعتبره المستشرقون كالأب لامنس المسيوعي والمؤرخ إرنست رينان وعضو الأكاديمية الفرنسية موريس باريس من أجمل خلجان العالم. وفي تعريف للمعلم بطرس البستاني في القرن التاسع عشر جاء عن جونيه على أنها موقع بساحل كسروان، به مخازن ودكاكين ومصبغة، تأتيه السفن والقوارب بالعدال وغيرها. وتجارة الحبوب فيه رائجة كثيرا. قراها صربا وغادير وحارة صخر وساحل علما وعدد سكانها 2500 نسمة ليس فيها بيوت بل إنما اشغال يقوم بها قوم من سكان القرى المجاورة

..

وحتى القرن الثامن عشر كانت هذه القرى موجودة على سفح جبل حريصا ومشرفة على سهول مدينة جونيه التي عُرفت بسهول النواير لكثرة المياه الجوفية فيها.

أبصرت سوق جونيه النور عام 1804، عندما أقام الأمير حسن شهاب شقيق الأمير بشير شهاب الثاني حوانيت ومخازن في أروقة المدينة لتصريف منتجات الحرير وتعزيز تجارتها، فوضع ميزانا خاصا للحرير للمضاربة على ميزان ذوق مكاييل. كما واشتهرت أسواق المدينة القديمة بأعمال تخزين المواد الغذائية وتوزيعها في ظل الحكم العثماني.

في المذاكرة الحقيقية للتاريخ إن الزائر لهذه المدينة أو العاير فيها كانت تعبق في أنفه رائحة زهر الليمون، وعلى مدى نظره تتناثر بساتين الخضار التي ترتوي من مياه النواير، فالزراعة ظلت ناشطة في سهول المدينة لغاية العام 1975 حيث تلاشت المساحات الزراعية أمام المهجمة العمرانية لتحل المباني مكان الحدائق والسهول.

وللتاريخ حصّة هامة في جونيه، والدليل أن الأبنية الأثرية تتوزع بكثافة في أرجاء المنطقة وتحدد المنطقة المصنفة تراثية بالجزء البحري من المدينة والممتد من محيط الملعب البلدي في حارة صخر ومدخل المرفأ في صربا الشير وتشمل هذه المخطّ الداخلي الذي كان يربط بيروت بطرابلس قديما حتى العام 1964 تاريخ إنشاء الأتوستراد الحالي المعروف بالـ A1 وتشتمل كما المنطقة على ابنية تراثية تشكل وحدة معمارية رائعة بنيت بشكل متناشق على جهتي الشارع الرئيسي ويعود تاريخ بناء هذه المنطقة الى القرن التاسع عشر.

وقد شكّلت هذه الأبنية نواة مدينة جونيه وفي مطلع القرن العشرين عُرفت هذه المنطقة بالميناء الجديدة في جزئها الجنوبي وبالميناء القديمة بجزئها الشمالي. وإذا كان الأمير حسن شهاب قد أنشأ سوق جونيه والميناء القديمة فإن الفضل في إنشاء الميناء الجديدة يعود للرئيس فؤاد شهاب فهو من أرسى المتصاميم العصرية ليكون راعي النهضة الحديثة لمدينة جونيه. حيث وبعد إنتخابه رئيساً للجمهورية عام 1958 أسّس لمدينة حديثة تكون مركزاً للقضاء فاستدعى خبراء التنظييم المدني وتذكر من أهم إنجازاته الحديثة للمدينة شقّ أوتوستراد نهر الكلب جونيه عام 1966 إنشاء مرفأ جونيه عام 1968، شقّ طرق في سهل المدينة بين السكة والبحر وهذا ما عُرف بمشروع الضمّ والمفرز، كما أنشأ الملعب البلدي وسرايا جونيه والتلفريك فضلاً عن وضع التصميم التوجيهي للبناء في جونيه وضواحيها.